والمؤمن مؤمن من الأزل والكافر كافر من الأزل لا يتبدل ذلك ولا يتغير
بناء على أن عندهم الكفار مجبورون على الكفر والمعصية ومن كان مجبورا
فهو معذور فلا يعاقب والمؤمنون مجبورون على الإيمان والطاعة
فلا يثابون على ذلك قلنا لا نسلم أن العبد مجبور بل مختار مستطيع على الطاعة
بتوفيق الله تعالى يثاب على فعلها ويعاقب على تركها وتقدير الشر والخير
من الله تعالى استدل أهل السنة بوجوه أحدها بأن الله تعالى تعلق علمه
وإرادته بأن يفعل العبد فعلا مختارا فيجوز أن يختار الإيمان تارة والكفر
أخرى وكلاهما متعلق علمه وإرادته وأن الله يعلم الشيء في الحال كما يعلم
أنه يتغير عن تلك الحال كما يعلم الحي حيا وإن علم أنه يموت الثاني أن في القول
بأن الفعل غير موجود بعد أن كان موجودا قلب الحقيقة وأنه لا يجوز إذ لا يجوز
أن يقال لمن قام ثم قعد لم يقم والثالث أن الله طلب الإيمان من المؤمنين
بقوله آمنوا بالله ورسوله فلو كانوا مؤمنين قبل الطلب كان تحصيل
الحاصل وإنه محال والرابع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ولو كانوا قبل قولهم
لا إله إلا الله مؤمنين لم يجز قتالهم ولا الأمر بقتالهم إذ المؤمن لا يقاتل
لكن التالي باطل فالمقدم مثله ولقائل أن يقول الأمر بالإيمان لأجل
إظهاره والقتال على ترك إظهاره قال فإن قيل إذا كانت الاستطاعة
من الله تعالى إلى العبد وقت الفعل مقارنا للفعل لا متقدمة ولا متأخرة
والخير والشر والإيمان والكفر والمعصية بتقدير الله وقضائه
ومشيئته وإرادته وتوفيقه وخذلانه وعصمته فبأي شيء يستحق العبد
العقوبة والمثوبة أقول اعلم أن الاستطاعة والقوة والقدرة والطاقة
متقاربة المعاني وعند المتكلمين مترادفة وخالقها هو الله عز وجل
والعبد مكتسب لها وإذا أضيف إلى العباد فهي صفة يتمكن بها الحيوان
من الفعل والترك وهي تقارن الفعل ولا تسبقه عندنا خلافا للمعتزلة
ولا تتأخر عنه خلافا للجبرية وتطلق ويراد بها صحة الآلات وسلامة

الأسباب

الأسباب وهذه تتقدم الفعل بالاتفاق وسيأتي وجه الخلاف في فصل ذكره
المص بعد ذلك فإذا تقرر هذا فنقول قوله فإن قيل الخ سؤال من جهة الجبرية
الذين يقولون بأن العبد مقدور تقريره أنه تعالى إذا كان الكفر والمعصية
بتقدير الله وقضائه ومشيئته والتوفيق الطاعة والخذلان للمعصية
والعصمة عنها كذلك فبأي شيء يستحق العقوبة والمثوبة الخذلان
منع الألطاف لتمكن من مواقعة المعصية والعصمة لغة الإمساك والحفظ
وفي الاصطلاح حفظ لازم عما يشينه ويسقط قدره وقيل ملكة نفسانية
تمنع المتصف عن الفجور وقيل هو كون الإنسان بحيث يمتنع صدور الذنب
عنه لخاصة في نفسه أو في بدنه وقال أبو منصور الماتريدي لطف يحمل العبد
على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار للابتلاء قال وأنا نقول
إن الأمر بالطاعة من الله والائتمار من العبد والنهي من الله والانتهاء
من العبد والطاقة والقوة من الله والاكتساب والجهد والعزم من العبد
فمتى وجد منه الجهد والقصد والاكتساب تحصل له القوة والاستطاعة
من الله تعالى مقارنة للفعل فيستحق الثواب والعقاب أقول وأنا نقول
في الجواب وحاصله إنما استحق العبد العقوبة بالمعصية والثواب بالطاعة
لفعله ذلك اختيارا مع الجد والقصد بيانه أن الله أمره بالطاعة
بقوله أطيعوا الله ورسوله والائتمار بفعل المأمور به من العبد ونهاه
عن المعصية بقوله ولا تقربوا الفواحش الآية والانتهاء عنها يكون من العبد
والطاقة والقوة من الله أي حاصلة بخلق الله والاكتساب للفعل والجهد
وهو بذل النفس في حصول المقصود والعزم وهو القصد المذكور من العبد
فإذا وجد من العبد الجهد والقصد والاكتساب للفعل تحصل له القوة والاستطاعة
مقارنة لفعله فيستحق الثواب بفعله الطاعة والعقوبة بفعله المعصية
قال وكذلك نقول إعطاء الإيمان من الله والقبول من العبد والهداية
والتوفيق من الله والاهتداء والمعرفة من العبد أقول أي وكما أن
الأمر بالطاعة من الله والائتمار من العبد كذلك الإيمان الذي هو فرد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)